

الأخر في الكتب المقدسة - اليهودية نموذج -

**The Representation of the Other in the Holy Books. Case Study:
Judaism**

مروان معزي*

جامعة قسنطينة (الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2019/06/06 تاريخ القبول: 2019/12/06 تاريخ النشر: 2019/12/22

ملخص:

هناك من النصوص ما تعطي الحق للغير بل وتعترف لهم بالحقوق الإنسانية ، لكنها وجهت توجهها ايديولوجيا، عانت منه اليهودية نفسها قبل الآخرين، وذلك عن طريق عزل أتباعها عن العالم، بل ووجهت الاحتقار إلى بعض طوائفها كالسامريين، مما حدا في الزمن المعاصر إلى ظهور بعض الحركات الإصلاحية التي تدعو إلى إعادة الروح الإنسانية إلى الديانة اليهودية و الابتعاد بها عن الفكر العنصري المظلم ومثالها ، حركة ناطوري كارتا والتي تصلح كنموذج مبدئي لإقامة حوار مع اليهود.

كلمات مفتاحية: الآخر؛ الكتب المقدسة، اليهودية.

Abstract:

There are texts that give the right to others and even recognize human rights for them, but they directed an ideological direction from which Judaism itself suffered before others, by isolating its followers from the world, and even directed contempt for some of its sects such as the Samaritans, which led in contemporary times to the emergence of some movements The reformist movement that calls for the return of the human spirit to the Jewish religion and its distance from the dark racist thought, and its example, the Neturei Karta movement, which serves as an initial model for establishing a dialogue with the Jews.

Keywords: the other; Holy books, Judaism.

1. مقدمة:

أخذت الغيرية في منظومة بناء الشخصية اليهودي بعدا عقائديا وفكريا مركبا، فكلما وُجد يهوديا كان احتمال سطوع الفكرة التباينية في المخيلة و الإحساس و الشعور إلى الواجهة كبير مهما كان انتماؤه العقدي أو الفكري (ونقصد هنا تقسيمات المجتمع اليهودي في العصر المعاصر الى: المتدين وغيرالمتدين - العلماني -)، فالكل يعمل على تجسيدها بأبعادها و خلفياتها بسلوكيات وانماط متعددة ، وما يهمننا في هذا المجال البعد الديني كخلفية مؤثرة في بناء الشخصية والفكر اليهودي. ولمعرفة المجال الديني كان لا بد ان نعمل على استعراض مكانة الغير في المصادر الدينية المقدسة والمعتبرة عند أصحابها، ونقصد بها الكتاب المقدس والتلمود بالدرجة الأولى.

فكيف نظرت هاته المصادر إلى الغير وكيف نظّرت التعامل معهم؟ نبدأ بالنصوص المقدسة في التناخ والتي ركزت على مبدأ هام سنجد له الاثر الكبير في بناء الموقف من الذات و الآخر ، ومتى ادركنا هذا المفهوم كان من السهل علينا بيان إطار التعامل مع الغيرية في سياقه الطبيعي، بالاستقراء نجد (هنا اخترنا بعض النصوص ذات الدلالات الصريحة الواضحة غير المؤولة في الاعتداد بفكرة التمايز).

"وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةً كَهَنَةً وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً. هَذِهِ هِيَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي تَكَلَّمُ بِهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ"
(الخروج 19:6).

"وَتَكُونُونَ لِي أُنَاسًا مُقَدَّسِينَ" (الخروج 22:31).

"كَلِمَ كُلِّ جَمَاعَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: تَكُونُونَ قِدِّيسِينَ لِأَنِّي قُدُّوسٌ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ" 5.

"فَيَصْنَعُونَ لِي مَقْدِسًا لِأَسْكُنَ فِي وَسَطِهِمْ" ... (الخروج 25:8).

"وَأَسْكُنُ فِي وَسَطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَكُونُ لَهُمْ إِلَهًا." (الخروج 29:45).

"فَيَصْنَعُونَ لِي مَقْدِسًا لِأَسْكُنَ فِي وَسَطِهِمْ" . (الخروج 25:8)

"وَللْتَمَيِّزَ بَيْنَ الْمُقَدَّسِ وَالْمُحَلَّلِ وَبَيْنَ النَّجِسِ وَالطَّاهِرِ،" (اللاويين 10:10)

"وَتَحْفَظُونَ فَرَائِضِي وَتَعْمَلُونَهَا. أَنَا الرَّبُّ مُقَدِّسُكُمْ" (اللاويين 20:08)

"لِكَيْ تَذْكُرُوا وَتَعْمَلُوا كُلَّ وَصَايَايَ، وَتَكُونُوا مُقَدَّسِينَ لِإِلَهُكُمْ" (العدد 15:40).

"لَأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلَهَكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَحْصَى مِنْ

جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ،" (التثنية 07: 06).

"أَنْتُمْ أَوْلَادٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكُمْ. لَا تَحْمِشُوا أَجْسَامَكُمْ، وَلَا تَجْعَلُوا قَرْعَةً بَيْنَ أَعْيُنِكُمْ لِأَجْلِ مَيْتٍ. لِأَنَّكَ

شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ، وَقَدِ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لِكَيْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ

عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ. (التثنية 14: 1-2)

"وَالرَّبُّ مِنْ صِهْيُونِ يُرْمِجُ، وَمِنْ أُورُشَلِيمَ يُعْطِي صَوْتَهُ، فَتَرْجُفُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ. وَلَكِنَّ الرَّبَّ

مَلْجَأٌ لِشَعْبِهِ، وَحِصْنٌ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ." (يوئيل 3: 16).

"اعْلَمُوا أَنَّ الرَّبَّ هُوَ اللَّهُ. هُوَ صَنَعَنَا، وَلَهُ نَحْنُ شَعْبُهُ وَعَنَمَ مَرَعَاهُ." (المزمور 100: 3)

"أَنَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ آلِهَةٌ وَبَنُو الْعَالِي كُلكُمْ." (المزامير 82: 6)

"وَيَكُونُ الْمَلُوكُ حَاضِنِيكَ وَسَيِّدَاتِهِمْ مُرْضِعَاتِكَ. بِالْأُجُوهِ إِلَى الْأَرْضِ يَسْجُدُونَ لَكَ، وَيَلْحَسُونَ

عُبَارَ رِجْلَيْكَ، فَتَعْلَمِينَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الَّذِي لَا يَخْزِي مُنْتَظِرُوهُ" (إشعياء 49: 23)

"أَمَامَهُ تَجْتَوُّ أَهْلُ الْبَرِّيَّةِ، وَأَعْدَاؤُهُ يَلْحَسُونَ التُّرَابَ." (المزامير 72: 9)

لِيَكُنْ مُبَارَكًا الرَّبُّ إِلَهَكَ الَّذِي سَرَّبَكَ وَجَعَلَكَ عَلَى كُرْسِيِّ إِسْرَائِيلَ. لِأَنَّ الرَّبَّ أَحَبَّ إِسْرَائِيلَ إِلَى

الْأَبَدِ جَعَلَكَ مَلِكًا، لِيُجْرِيَ حُكْمًا وَبِرًّا." (الملوك الاول 10: 9)

هذا فيما يخص الكتاب المقدس، اما التلمود المصدر الثاني فإنه غني بهذه المسائل التي تجعل

من الصعب على اليهودي التجانس أو التأقلم مع الغير إلا من خلال سلوكيات محددة مركبة

، منها ما تمت صياغته في المبحث الثامن من الجزء الرابع من كتاب نزيقين، ونقصد به

مبحث عبوداه زراه – أي عباد الاوثان -، ويضم خمسة فصول كلها تندرج في تنظيم العلاقة

بالأغيار والذين هم في مصاف عبدة الاوثان (كنموذج فقط والا فالمطلع على نصوص المشنا

وشروحاتها – الجمارة – والتي تضم التلمود، يجد الحديث باسهاب حول هذا الموضوع يحتاج الى

دقة كبيرة للدراسة، وقد اعتمدت على الترجمة العربية الحديثة للمشنا، وحسب علمي انها الأولى،

وان كانت هنا كترجمة للتلمود البابلي الا اننا لم نستطع الحصول على نسخة منها والتي قامت بها

دار الشرق الاوسط والتي كنا نعتد سابقا على الترجمة الانجليزية .)

لقد وضعت المشنا اليهودي في دائرة مغلقة يحظر عليه التعامل مع الغير بما يستحيل في ظلها اقامة العلاقات المستمرة، ناهيك ان تطلب منه حوارا جادا، لانه لا يعترف بوجود الاخر اصلا، وسنذكر مقتطفات موجزة حسب المضمون منها :

- بتحريم التعامل مع الجويميم قبل اعيادهم بثلاثة ايام (يشمل جميع المعاملات سواء الاعارة او البيع ...) ، ويذهب بعض بعضهم الى كون الثلاثة ايام يُعنى بها قبل وبعد الاعياد (المشنا، ص 279).

- تحريم التعامل بالبيوع مع المدينة الوثنية، وبيان الاشياء التي يحرم التعامل بها مع الجويميم يدخل فيها : (سلوك الطرق، الاشجار الحيوانات الهائم والدببة، الحلي والذهب، الاستئجار). (المشنا، ص 279، 281، 280).

- اجتناب الهائم بيوت الجويميم لأنهم يشكون في مضاجعتها او سفك دهما، وعدم جواز ان تولد اليهودية غيرها لكن جاز أن تُولَد اليهودية من الاجنبية.

- جواز تطيب بهائم اليهودي عند الجويميم، ولا يجوز تطيب اليهودي نفسه عندهم، كما لا يجوز الحلق لديهم (يمكن ان نقول ان مبدأ القداسة يقابلها مبدأ الخيرية في الاسلام على اختلاف في المرجعية والمفهوم والتطبيق فالاولى على العرق ، أما الاسلام فالالتزام بالمبادئ الاخلاقية ذات البعد الاعالمي الانساني).

هذه مجموعة من النصوص التي تعمل على صقل وصياغة الشخصية اليهودية بناء من

التربية والتكوين الى مرحلة التطبيق العملي ، ولكي لا نظلم القوم كان لزاما علينا الاستدلال بما يقبلونه من مقدساتهم لكي لا نجني عليهم.

ان التموقع الذي وضع اليهود فيه انفسهم جعلهم ينظرون الى الغير نظرة استعلاء وتباين

مما يجعل هذا اليهودي دائما مبرءا من كل تصرف مع الغير كالإله تماما الذي لا يسأل عما يفعل ، وهذا لكونهم أمة مقدسة ، ففكرة القداسة أخذت بُعدا بعيدا، ومحطاً مُهما جعلت كل يهودي

يتمركز حوله ويهتم به في حياته الكونية تماما ، فهم أمة مقدسة ومجموعة قدسين فوق الارض لا

يحق لباقى الامم ان تشاركهم هذا الامتياز، وبالتالي كان لزاما على كل يهودي العمل بكل ما يملك للمحافظة على هذا الامتياز مهما كلفه الامر.

ومن اهم مظاهر و ركائز المحافظة نجد العمل على الالتزام بالوصايا المرتبطة بالقداسة 23 فالعلاقة الناشئة عن النعمة الالهية- القداسة- تؤدي بدورها إلى مطالب ادبية شديدة ، أي التركيز على مبدأ الالتزام بالوصايا، واستمرارها بين الشعب والرب كعلاقة تزواج، وهنا تجلى مبدأ الحلولية والتي يراد بها حلولية الاله في الشعب اليهودي بحيث يتم استبعاد بقية العالم " الأغيار" (المسيري، 1999: ص. 28).

ففكرة الاله هنا تختفي و تتحد بالشعب البديل وهو شعب اسرائيل؟، كيف؟ لأن فكرة الشعب المختار ركيزة المبدأ الثلاثي المكون للوجود المقدس ويتجلى من خلال الاتحاد: "الشعب ونقصه به: - العرق -، الارض ، الدين ."* من خلال الممازجة نصل الى مرحلة النشوة وهي الوحدة الحلولية.

وبناء على توظيف الفكر الفلسفي اليهودي لهذه الأصول () وهنا الاشارة الى مبدأ الفلسفة القبالية وأثرها في بناء الشخصية اليهودية من خلال صياغة المبادئ الدينية بنظرة فلسفية متطرفة) يأخذ هذا المبدأ في صورة الجزء الالهي .

فتوظيف هاته الفكرة - الاختيار - عقديا يعطى الحق للشعب أن يصبح عنصرا اساسيا في عملية إصلاح الخلل الكوني ، فيه يستعيد الاله وحدته ، ويبقى معتمدا على اليهود في إصلاح الكون و إكمال ذاته ، وهنا يتجلى دور اليهود من خلال الالتزام بالأوامر و النواهي (المسيري، 1999: ص. 29).

ويورث هذا المبدأ اي قداسة الشعب قداسة كل ما يتعلق به ، ونقصه هنا بالتحديد أن الانسان كائن يعيش في زمن على تراب- الارض - ، فكان لزاما على قداسة الشعب قداسة الزمن و الارض ؟

هنا بالذات نجد التمرکز للقداسة حول الفرد والزمن و الارض ، أو كل ما له علاقة بهذا الثالث من كتب أو وصايا ، المهم الخط الثابت عنصر القداسة.

ومفهوم القداسة بمعناه العميق هي تعريف بطبيعة الله كما يتوقع ان يراها منعكسة على أبنائه ؟ (مجموعة من المؤلفين، 1979: 22) وفكرة البنية جسدها النص المقدس: " أَنْتُمْ أَوْلَادٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكُمْ. لَا تَخْمِسُوا أَجْسَامَكُمْ، وَلَا تَجْعَلُوا قَرَعَةً بَيْنَ أَعْيُنِكُمْ لِأَجْلِ مَيْتٍ. لِأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ، وَقَدْ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لِكَيْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ .."

وهذا المفهوم عن قداسة الله بدوره ، نجده ينعكس و يصور في نفس بناء خيمة الاجتماع - خيمة الاجتماع: الخيمة الأصلية التي كان يجتمع فيها الرب بشعبه (خروج 33: 7 ، 10)، ولذلك سميت [خَيْمَةُ الْإِجْتِمَاعِ] وأطلقت [الْخَيْمَةَ] على بيت آخر وضع فيه داود التابوت أما الخيمة الأصلية فهي التي أمر الله موسى أن يقيمها في البرية لكي يسكن الله فيها بين شعبه ولذلك سميت [المُسْكَنَ]. وكانت تودع فيها ألواح الناموس والشهادة ولذلك سميت [مَسْكَنِ الشَّهَادَةِ] وقد أطلق عليها اسم علم [بيت الرب] - ، وفي أعماقها قدس الأقداس، وإذا ما كان الناموس هو التعبير المنطوق عن قداسة الله ، فإن خيمة الاجتماع هي النموذج المرثي لها ، كما قصد أن يكون ببني اسرائيل أن يكونوا النموذج المتحرك لها(مجموعة من المؤلفين، 1979: 22).

هنا تتجلى الحقيقة الحلولية التي ذكرناها سابقا.

وهنا أساسا نستطيع فهم المبدأ المراد به في النصوص السابقة بالقداسة ومدى ضرورتها في صياغة قاعدة الشعب المختار ومن بعده العلاقة مع الآخر ؟:

"وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةً كَهَنَةٍ وَ أُمَّةً مُقَدَّسَةً. هَذِهِ هِيَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي تَكَلَّمْتُ بِهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ .
و"تَكُونُونَ لِي أَنَا سًا مُقَدَّسِينَ". ...

وهنا كذلك يتجلى لنا المعنى الحقيقي لدلالة كلمة مقدس في النسق اللغوي العبراني .

يذكر اصحاب التفسير الحديث للكتاب المقدس حول مدلول هاته الكلمة: " ودون الدخول في مجادلات تخص فقه اللغة ، فالفكرة الأساسية لأصل الكلمة العبرية " الفرز " أو "التميز" عن باقي الأشياء العادية ... " (مجموعة من المؤلفين، 1979: 21)، وهو ما أكدنا سابقا حول المغايرة للشعوب الأخرى .

و للمحافظة على استمرارية القداسة كان لزاما على المجموعة اليهودية بجميع اشكالها العمل بمبدأ التمايز من خلال الالتزام بجملة الشرائع الملزمة للفرد اليهودي، فكانت الشرائع تعبر عن الخصوصية المباشرة للجميع من ختان و احتفال و ذبائح، وموقف من الغير، هذا الاخير الذي ربما نجد له تموضع هام من خلال جملة الشرائع، او في الفكر والثقافة الفردية، وقد سمته بعدة تسميات ك: "الأجنبي، الغير، المستوطن، الغريب...".

وألزمت التعبير عن اليهودي حصرا بجملة من المسميات لا تنصرف لغيره منها: "القريب أخوك الاسرائيلي العبراني..."، وهنا يتجلى للقداسة مظهر في البعد العرقي: "وَأَقِيمْ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لِأَكُونَ إِلَهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ" (التكوين 17:07).

فكل معاملة خاصة بمن سبق ذكره لا تنصرف لغيره لا في المبدأ او المعاملة لا من حيث الالتزام أو الاحترام.

بعدها أصلنا فكرة ودلالة مبدأ القداسة وما تحمله بين طياتها، نستطيع ان نفهم الآن السلوكيات التطبيقية مع الغير في إطارها الديني ونسقمها الذاتي و بعدها الفلسفي، والتي علمها بنيت فكرة الآخر في هاته المنظومة المركبة.

والجدير بالذكر أنه ليس علينا ان نلوم الآخر- اليهودي- إذا ما وَضَعْنَا في هاته الخانة (لأن الغالب في كافة الأديان على اختلافها وتنوعها أن تميز بين المعتقد والمنتمي إليها والخارج عن اطارها، لكن على تفاوت بين بينهما في المعاملة والاعتبار، وهذا ما تجسدها جملة النصوص التي لها علاقة مباشرة في توجيه المعتنق وبناء شخصيتها تجاه الآخرين)، لأن الأمر وضع قبل مجيئه ولم يستشار فيه، بل إنه اختيار واصطفاء لا يد له فيه وبالتالي سلوكه هذا لا يُعَدُّ إلا كونه من باب الالتزام بالنعمة التي انزلت عليه؟ و التي متى التزم بها سارع في التعجيل بالوحدة الحلولية التي هي المقصد لكل يهودي من خلال الاعتبار بالنموذج المتحرك للذات الالهية؟

وبالعودة إلى علاقة اليهودي بالآخر وبناء على ما سبق نتناولها مجملة من خلال هاته العناصر:

أولا: من خلال الوجود: العنصرة البشرية:

يرى اليهود أن المبدأ البشري لا ينسب إلا لمن كان يهودي فقط و ما خلا اليهودي فهو من باب الانتساب المجازي لا غير ، فغير اليهود ما خلقوا من نفس الطينة التي خلق منها اليهود ، فهم ليسوا بشرا و ان أخذوا نفس الشكل ، وما هذا إلا لعله أن يصلحوا لخدمة اليهودي ؟.

"وَعَشِقتْ مَعْشُوقِيهِمُ الَّذِينَ لَحْمُهُمْ كَلْحَمِ الْجَمِيرِ وَمَنْيُهُمْ كَمَنْيِ الْخَيْلِ" ... (جزقيال 20: 23).

يقول مدراش تالبوت : " خلقهم الله في شكل آدمي لتمجيد إسرائيل ، إلا أن العكوم خلقوا لغاية واحدة هي لخدمة بني إسرائيل ليل نهار ، وهم لا يستطيعون التخلص من هذه الخدمة ، ومن اللائق ان يقون على خدمة ابن ملك (اسرائيل) حيوانات في اشكال طبيعية فالكاتتبا في اشكال انسانية عليهما ان تخدمه " (الأبيرانايتس فضح التلمود ص 92 ، نقلا عن عبد المجيد همو ، 2003 ، ص 110).

وهذا ما يُنظَرُ له موسى بن ميمون : " ...أما الذين هم خارج المدينة فهم كل شخص إنسان لا عقيدة مذهب عنده ، لا نظرية ولا تقليدية ، كأطراف الترك المتوغلين في الشمال ، والسودان المتوغلين في الجنوب ، ومن ماثلهم ممن معنا في هذه الأقاليم وحكم هؤلاء كحكم الحيوان غير الناطق(؟) ، وما هؤلاء عندي في مرتبة الانسان ، وهم من مراتب الموجودات دون مرتبة الإنسان ، وأعلى مرتبة من القرد (؟) إذ قد حصل لهم شكل الإنسان ، و تخطيطه وتمييزه فوق تمييز القرد" (بن ميمون ، 2011 ، ص 639).

وهنا صادفت الجماعة اليهودية اشكال اليهودي الذين ينتمون لأب أو ام يهودية فقط لا لكليهما ، فكان الاعتبار بالأم عند اليهودية الأرثوذكسية ، وبالاب أو الام عند الاصلاحيين .

ثانيا : من خلال التسمية :

يطلق اليهود على غير اليهودي عدة مسميات منها الغريب الآخر العكوم الأغيار ، الجويم ، وكل لفظ له دلالة خاصة :

- الغريب :و الغريب عادة عند الشعوب المحافظة المنكمشة على نفسها ، مثل الشعوب الشرقية في الزمن القديم ، ومثل اليهود بوجه خاص ، لا يلقى من الشعب إلا الرفض أو الريبة أو التمتع ، وقد انبثقت هذه النظرة إلى الغرباء عن عادة اليهود بتسمية كل ما هو غير يهودي بالغريب . ونظرتهم إلى أنفسهم كشعب مختار وجنس مصطفى .

-عكوم :

وعكوم عبارة عن تجميع للحروف الأوائل لكلمات "عوبدي كوخيم ومازالوت"، والتي تعني عبدة الكواكب و النجوم (عبد المجيد همو ، 2003 ، 104)، مع انحصار والتصاق هذه التسمية بالمسيحيين على الخصوص.

- الجوييم: والتي تعني الأغيار وهو المصطلح الشائع والأكثر استعمالا واستخداما، وهو يعني ما يقابل اليهودي في الوجود ، كما توجد هناك تسمية اخرى وهي: الأمي.

ثالثا من خلال المعاملات :

وهي الاهم ، لأن ما سبق يدخل في إطار معتقد الفرد ولا يمكن الاطلاع عليه إلا من خلال الاظهار، والتعاملات هي الصورة المانحة والترجمة الفعلية لهذه المبادئ ، منها نحاول بقدر الايجاز اجمالها فيما يلي :

- المعاملة الانسانية- : من حيث الاعتراف بالأديان الأخرى :

لا تعترف اليهودية بأي دين إلا الدين اليهودي دين ابراهيم ، وكل ما خلا هذا الدين فهو دين وثني حتى و ان دعا إلى التوحيد ونبذ الأوثان كالإسلام ، و بناءا عليه جعلت جميع العلاقات بمعتنقي الأديان الأخرى موضع احتراز ، سواء في العلاقات الاخلاقية او التعاملات المالية وغيرها. فالوثني وفقا للمبادئ اليهودية قد نقض العهد مع الرب و الذي في أصله إله قومي خاص باليهود فقط (هنا نجد ان غير اليهودي لا يجوز له التقرب من الاله يهو لأنه إله قومي خاص باليهود حصرا؟)، وبذلك انجرت على فعلته هاته جملة من الأحكام منها عدم الاعتداد و التنزه في أخذ ما لديهم و الابتعاد عن المبادئ التي تعد من الاخلاقيات في المعاملات لأنها خاصة بين اليهود فقط. و المبدأ الوثني جعل مبررا لانتهاك الوثنيين ؟

يقول ايورديا ص 142 : محرم الوقوف في ظل بيت وثني سواء من الداخل أم من الخارج عن

بعد أربعة اذرع من المدخل الأمامي....إذا كان بيت الوثنية قد وجد قبل الطريق ، فلا يجوز المرور بقربه ، وهناك من يقول : إنه حرام المرور في أي حال" (الأيبرانانتيس فضح التلمود ص 101 نقلا عن عبد المجيد همو ، 2003 ، 113).

- التعاملات المالية الربوية : " لِأَجْنَبِيِّ تَقْرِضُ بَرِيًّا، وَلَكِنْ لِأَخِيكَ لَا تُقْرِضُ بَرِيًّا، لِئُبَارِكَكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ فِي كُلِّ مَا تَمْتَدُّ إِلَيْهِ يَدُكَ فِي الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا" (التثنية 23:20).

فهنا التفصيل في طبيعة التعامل لا النظر في فضائل المعاملة، فركز التعامل بالربا على غير اليهودي طلبا لماله لأن اليهودي يرى أن المال ماله مهما كان في يد غيره بل الواجب عليه استرداده بأي وسيلة.

وهذا ما بينته نصوص المشنا: " يجوز أخذ الربا من المرتدين الواقعين في الوثنية ، ويقول

إيورديا : ويجوز وفقا للتوراة إقراض مال بربا العكوم" (عبد المجيد همو، 2003، 120).

- تحريم التعامل مع غيرهم : الاصل في العلاقة هي الخدمة و الاستعباد لكل ما هو غير

يهودي : ""وَبَنُو الْغَرِيبِ يَبْنُونَ أَسْوَارَكَ، وَمُلُوكُهُمْ يَخْدُمُونَكَ ..." (اشعيا 60 : 10). وفي حالة ما اذا

رفضت الامم الخدمة كان الجزاء : "لَأَنَّ الْأُمَّةَ وَالْمَمْلَكَةَ الَّتِي لَا تَخْدِمُكَ تَبِيدُ، وَخَرَابًا تُخْرَبُ

الْأُمَّةُ" (اشعيا 60 : 12).

و بالعودة الى طبيعة التعاملات ، يقول أوراش شائيم : " لا تبع معطفك بهدباته إلى عكوم

مخافة أن يرافق يهوديا على الطريق لقتله ، ومحرم تبادل المعطف او اعارته لغير اليهودي الا لوقت

قصير ... " (الأبراناتيس فضح التلمود ص 88 نقلا عن عبد المجيد همو، 2003، 108).

- تحريم بيع الأراضي للأميين : يقول ايورديا : البراء من اليهودي واجب في اربعة وعشرين

(24) حالة منها : أي يهودي يبيع مزرعته من عكوم يجب نفيه و البراء منه" (عبد المجيد همو، 2003،

119).

- تحريم الاكل مع الأممي : يذكر صاحب معجم المصطلحات التلمودية تحت عنوان خبز

الجوييم : " قرار الحاخامات عدم الكل من الخبز الذي يخبزه الأغيار - الجوييم - ، ولقد قرروا ذلك

لإبعاد الاسرائيليين عن الحياة المشتركة مع الأعراب وليس من جراء الخوف من اختلاط التحريم ،

حيث انها مشكلة في ذاتها ، وهذا الحكم قديم جدا (حيث ورد في سفر دانيال) ولكنهم خففوا منه

بمرور الاجيال.

وبصورة عامة فإن التشريع ينص على عدم الأكل من خبز الجوييم إذا كان هناك في المكان

نفسه خبز للإسرائيليين من النوع ذاته " (شتينزلتس، 2006، ص 214).

الجانب الأخلاقي: من غير المنطقي ان نصنف الاخلاق اليهودية في خانة الاخلاق الذميمة ،

وهذا من باب ظلم القوم لكن من المبدأ الموضوعي ان نعمل على فهم الاطار القيمي للفكرة

الاخلاقية وفقا لخلفيتهم هم ، فقد اوجدوا نسقا ومضمرا اخلاقيا لا يليق الابهم ولا يمكن ان يتقمصه احد غيرهم ، ولذلك فالأخلاق المراد بها هنا الاخلاق ذات البعد التوراتي و التلمودي فقط ، ومن هذا المنطلق يصعب تحديد المعنى الاخلاقي الا في الصورة التي تقدمها لنا النصوص المقدسة ، فما يلقي بالاستنكار لا يكون الا من خارج المجموعة اليهودية ، أما اليهود انفسهم فهم ينظرون اليها نظرة اجلال و قداسة ، وبذلك نخلص الى فكرة التميز للمفهوم الاخلاقي و الضمير عند اليهود ، فهم اوجدوا منظومة خلقية خاصة بهم لا تتماشى الا معهم و لا يستطيع تقمصها الا هم . (معزي ، 2009)

نماذج : يذكر الفصل الثاني من المشنا الفقرة أ: "لا (يجوز) ان ترضع الاسرائيلية ابن

الاجنبية ، ولكن (يجوز) ان ترضع الاجنبية ابن الاسرائيلية بإذنها ." (ترجمة متن المشنا ، 2007 ، ص 283).

- عدم تقديم معاونة للامي : وفقا للمنطق التوراتي و التلمودي يحضر على اليهودي انقاذ

غير اليهودي يقول التلمود : " غير اليهود ليس واجبا رفعهم (من البئر) و لا انزالهم (فيها) ، وهذا ما

يشير اليه ابن ميمون بقوله : بالنسبة لغير اليهود الذين لا نكون في حالة حرب معهم ... يجب ان لا

نتسبب في موتهم ولكن يحظر علينا انقاذهم اذا كانوا على وشك الموت مثلا اذا شوهد احدهم

يسقط في البحر وجب عدم انقاذه لانه مكتوب " لا تقف ضد دم رفيقك " و غير اليهود ليس رفيقك "

يجب على الطبيب اليهودي بصورة خاصة ان لا يعالج مريضا غير يهودي ، لكن ان ادى رفض

العلاج الى اثاره العداوة بين اليهود وغيرهم يقول ابن ميمون : ...أما اذا خشي منه او من عداوته

فعالجه مقابل اجر ويبقى ممنوعا ان نفعل ذلك من دون اجر " (شاحاك ، 1995 ، ص 127) ، وهذا ما

تؤكدده نصوص المشنا : " (يجوز) ان يتطببوا لديهم فيما يتعلق بالأموال (كالهائم) لكن لا يتطببون

لديهم فيما يتعلق بالأنفس . " (المشنا ، 2007 ، ص 283) ، هذا اذا كان المريض يهوديا فما بالك اذا كان

جوي.

هذه عقيدة بكاملها - حظر انقاذ يهودي أو علاجه و تعليق الحظر في حالات الخوف من

العداوة " (حاشاك، 1995، ص 127).

مسائل الجنس : الاتصال الجنسي بين اليهودي و اليهودية المتزوجة جريمة ، أما غير اليهود

فلا تزوج معهم لأنه لا زواج بالوثنيات ، وبالتالي لا ينطبق عليهن مفهوم الزواج ، والمنطق يجعل

العلاقة الجنسية بغير اليهودية ليست من باب الزنا لأن الصوايا تثبت الزوجية للقريب بالرغم من

التحريم بالزواج من غير اليهوديات الا ان الاتصال الجنسي معهم لا يدخلها في اطار العقوبة ؟

يذكر اسرائيل شاحك في هذا المجال : "وهذا لا يعني ضمنا ان الاتصال الجنسي بين اليهودي

وغير اليهودية مباحل على العكس ، ولكن العقوبة الرئيسية توقع على المرأة غير اليهودية اذا يجب

ان تعدم ولو كان الهوي قد اغتصبها ، اذا اتصل غير يهودي جنسيا بغير يهودية سواء كانت طفلة

عمرها ثلاث سنوات او بالغة متزوجة او غير متزوجة وحتى لو كان قاصر عمره تسع سنوات ويوم

واحد ولأنه اتصل بها جنسيا وجب ان تقتل كما في حالة جماع الحيوان (حاشاك، 1995، ص 127-

128).

و بالعود الى النصوص المقدسة تحرم اقامة المصاهرة مع باقي الامم : "وَالآنَ فَلَا تُعْطُوا

بَنَاتِكُمْ لِبَنِيهِمْ وَلَا تَأْخُذُوا بَنَاتِهِمْ لِبَنِيكُمْ، وَلَا تَطْلُبُوا سَلَامَتَهُمْ وَخَيْرَهُمْ إِلَى الْأَبَدِ لِكَيْ تَتَشَدَّدُوا وَتَأْكُلُوا

خَيْرَ الْأَرْضِ وَتُورَثُوا بَنِيكُمْ إِيَّاهَا إِلَى الْأَبَدِ" (عزرا 9: 12). وكان أنبياء الكتاب المقدس ضد الزواج من

أجنبيات لأن ذلك الزواج كان يستتبع اختلاط الإيمان اليهودي بأديان ومعتقدات الشعوب الأخرى

وتنازل المتزوجين بأجنبيات عن تعاليم الله واقتفاء أثر أصنام زوجاتهم (المنشا، 2007، ص 279).

اليهودي و الحروب : وهنا نجد التطبيق للفكرة النظرة اتجاه الغير : فمن يحارب، الرب هو

الذي يتولى المحاربة عن اليهود ، فهو رب الجنود ورب الحروب ، فالرب له حقد كبير على باقي

الشعوب خاصة المصريين و الحيثيين و العمونيين ، فهنا نجد مبدأ النيل من الامم وفقا لعنصرية

عقدية مقدسة لها اثر عميق على الوجدان الديني لليهودي. (المنشا، 2007، ص 279-281).

كيف ركبت هاته العقيدة وفقا لما سبق العنصرة المقدسة ، ويضاف اليها الهالة التي وضعت

على باقي الشعوب الصورة التي وصفت بها و القباحة و صف ما شئت لهذا المبدأ ، وبذلك فكل

الشعوب هي شعوب متربصة باليهودي ، فكان لزاما ان يشحن بالخوف و الحقد ز العدا و التوتر اتجاه كل ما ليس يهودي.

لقد ركبت النصوص الدينية من الحالات التاريخية التي مر بها هذا الشعب و صاغت منه شعب مختار و كأنما ارادت تعويض ما فاته ، من خلال الصور المتعددة عن الغير، والصورة الثابتة عن الذات ؟ فجاءت التشريعات خادمة للعقيدة التي وضعت مسبقا ؟

لكن والحق يقال ان هناك من النصوص ما تعطي الحق للغير بل وتعترف لهم بالحقوق الانسانية ، لكنهما وجهت توجهها ايديولوجيا ، عانت منه اليهودية نفسها قبل الاخرين ، وذلك عن طريق عزل اتباعها عن العالم ، بل ووجهت الاحتقار الى بعض طوائفها كالسامريين ، مما حدا في الزمن المعاصر الى ظهور بعض الحركات الاصلاحية التي تدعو الى اعادة الروح الانسانية الى الديانة اليهودية و الابتعاد بها عن الفكر العنصري المظلم ومثالها ، حركة ناطوري كارتا والتي تصلح كنموذج مبدئي لإقامة حوار مع اليهود.

المراجع:

- التثنية 23:20.
- اشعيا 60:10 ، 60:12 ، 49:23.
- بن ميمون، موسى. (2011). *دلالة الحائرين*، ترجمة حسين أتاوي، ط1، بيروت، منشورات الجمل .
- التثنية 7:6 ، 14:1-2 .
- ترجمة متن *المشنا*. (2007). المبحث الثامن عفورا هزارة - العبادة الوثنية - ، ط1، (ترجمة مصطفى عبد المعبود سيد) ، مكتبة الناظفة.
- التكوين 17:7.
- حزقيال 20:23.
- الخروج 19:6 ، 22:31 ، 25:8 ، 29:45 ، 33:7

- شاحك، اسرائيل. (1995). *التاريخ اليهودي الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة*، (ترجمة صالح على سوداح توزي)، ط.1، لبنان: عبيسان للنشر والتوزيع.
- شتيزلتس، الحاخام عادين. (2006). *معجم المصطلحات التلمودية*، (ترجمة مصطفى عبد المعبود سيد)، ع(19)، سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية.
- عبد المجيد همو. (2003). *مفاهيم تلمودية نظرة اليهود الى العالم*، ط.1، دمشق: دار الاوائل.
- العدد 15: 40
- عزرا 9: 12
- اللاويين 2: 19، 10: 10، 8: 20
- مجموعة من مؤلفين. (1979). *التفسير الحديث للكتاب المقدس العهد القديم سفر الخروج*، ط.1، (ترجمة نكلس نسيم)، القاهرة: دار الثقافة.
- المزامير 82: 6، 72: 9. المزمور 100: 3.
- المسيري عبد الوهاب. (1999). *موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية*، مج(5)، ط.1، القاهرة: دار الشروق.
- معزي، مروان. (2009). *الشرائع الاسرائيلية في العهد القديم والقراءان الكريم شرائع المعاملات* انموذجا، [رسالة ماجستير غير منشورة] جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية، قسنطينة، الجزائر.
- الملوك الاول 9: 10.
- يوثيل 3: 16.